شرح منظومة
الحَكَمِ بن مَعْبَدٍ الخُزَاعِيِّ الحنفيِّ
(ت: ٢٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ
في التمسك بالسُّنة

شرحها:

أ. د. عارف بن مزيد بن حامد السحيمي

الأستاذ بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إنَّ الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده اللَّه فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنَّ مما أوجبه اللَّه على كل مسلم اتباع كتاب اللَّه عز وجل، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، على وفق فهم الصحابة رضوان اللَّه تعالى عليهم، والحذر مما

---

(١) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة، وقدكان النبي ﷺ يعلمها أصحابه كما يعلمهم التشهد في الصلاة، أخرجها الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩٢)، وأبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة الحاجة برقم: (٢١١٨) والترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح برقم: (١١٠٦) وقال: «صحيح»، والنسائي في كتاب الجمعة، باب الدنو من الإمام يوم الجمعة، برقم: (١٧٠٩) وابن ماجه في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، برقم: (١٨٩٣)، وقد أفردها الشيخ الألباني رحمه الله في رسالة سماها «خطبة الحاجة التي كان رسول اللَّه ﷺ يعلِّمها أصحابه».

يناقض هذا الأمر من بدع ومحدثات.

وإن المتأمل للنصوص الشرعية، ليجدها مليئة بالحث على لزوم السنة، واجتناب ما يضادها.

قال اللَّه تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال علماؤنا: معناه أحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، واستبيحوا مباحه، وارجوا وعده، وخافوا وعيده، واقتضوا حكمه، وانشروا من علمه علمه، واستجسوا خباياه، ولجوا زواياه، واستثيروا جاثمه، وفضوا خاتمه، وألحقوا به ملائمه وهي باتباع ما يؤثر عن رسول اللَّه وإن عارضه إذا وضح مسلكه»[(١)].

وفي حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وعظنا رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ موعظة بليغة، ذَرَفت منها العيون، وَوَجِلت منها القلوب، فقال قائلٌ: يا رسول اللَّه، كأن هذه موعظة مودع، فما تعهده إلينا، فقال: «**أوصيكم بتقوى اللَّه، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(٢)].

وقد قيّض اللَّه تعالى لحفظ دينه علماء قاموا بواجب النصيحة للخلق خير قيام، فأبانوا لهم السنن، وحذروهم من البدع وأبطلوها بالبراهين البينات، فجزاهم اللَّه خير الجزاء على ما قاموا به.

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٣٠٤).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٤/ ٢٠٠)، والترمذي وصححه (٥/ ٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٦٩).

ومن العلماء الذين بذلوا أنفسهم في نصرة السنة والتحذير مما يضادها: الإمام الحَكَمِ بن مَعْبَدٍ الخُزَاعِيِّ (ت: ٢٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد أثنى عليه جملة من العلماء والمؤرخين:

- **قال عنه الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكم بن معبد بن أحمد، أبو عبد اللَّه الخزاعي الأديب، صاحب كتاب السنة»[١].
- **وقال عنه أبو نعيم الأصبهاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صاحب أدب وغريب... كثير الحديث، ثقة»[٢].
- **وقال عنه ابن العماد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان من كبار الحنفية وثقاتهم»[٣].
- **وقال عنه اليافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكم بن معبد الخزاعي الفقيه، مصنف «كتاب السنة» بأصبهان، وكان من كبار الحنفية وثقاتهم»[٤].
- **وقال عنه السيوطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان كثير الحديث، ثقة»[٥].

ومنظومتة في بيان السنة والتحذير مما يضادها بلغ عدد أبياتها: (١٦) بيتًا.

وهي رائية من بحر (الطويل). وقد نسبها إليه تلميذه الحافظ الأصبهاني رحمه اللَّه تعالى في كتابه: «طبقات المحدثين بأصبهان» وذكر أنه سمعها منه فقال: «أنشدنا الحكم لنفسه: منحتكم يا أهل ودي نصيحتي وإني بها في العالمين لمشتهر»[٦].

ونظرًا لما اشتملت عليه المنظومة من مسائل نفيسة من حثه على الاتباع

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٢٢/ ١٤٠).
(٢) «أخبار أصبهان» لأبي نعيم الأصبهاني (٤/ ٨٩).
(٣) «شذرات الذهب» (٢/ ٢١٧).
(٤) «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان» (١/ ٣٠٤).
(٥) «بغية الوعاة» (١/ ٥٤٥).
(٦) «أخبار أصبهان» لأبي نعيم الأصبهاني (٤/ ١٦٩).

وإشهار السنة والرد على الطاعنين في الصحابة الكرام ﷺ وإثبات رؤية اللَّه تعالى في الآخرة، وإثبات الكلام له، وبيان شيء من مخالفات الطوائف المنحرفة عن منهج السلف الكرام فقد رغبت في إخراج هذه المنظومة وإبرازها، خدمةً للعلم وأهله مصحوبةً بشرح أرجو أن يكون مؤديًا لحقِّها حسب جهدي، موضحًا مسائلها، ومبيّنًا فوائدها، دون تطويل مملّ، أو اختصار مُخلّ، تحت عنوان: «شرح منظومة الحَكَمِ بن مَعْبَدٍ الخُزَاعِيِّ الحنفي (ت: ٢٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في التمسك بالسنة» سائلًا اللَّه التوفيق والسداد.

- **أهمية دراسة وشرح المنظومة:**

تبرز أهمية الدراسة والشرح للمنظومة من خلال الأمور الآتية:

(١) أن هذا النظم متعلق بالعقيدة، وهي ألزم ما على العبد معرفته، وأول واجبٍ كُلِّف به.

(٢) أن ناظمها قد أثنى على منظومته الأئمة ومنهم: الذهبي، وابن القيم، وابن كثير، رحمهم اللَّه فجدير أن يُعتنى بإخراجها مدروسةً مشروحة شرحًا علميًّا.

(٣) أنَّ قضية الحث على لزوم السنة من خلال النظم الشعري من القضايا التي اهتم بها العلماء قديمًا ومنه ما سطَّره الحافظ أبو بكر عبد اللَّه بن الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت: ٣١٦هـ)، رَحِمَهُ اللَّهُ في منظومته المشهورة بـ: (حائية الإمام ابن أبي داود في السُّنَّة)، ومنه ما كتبه الحافظ أبو القاسم سعدُ بن علي الزَّنجاني المكي، (ت: ٤٧١هـ)، رَحِمَهُ اللَّهُ في منظومته: (المنظومة الرائية في السنة).

فالنظم له قبول لدى طلبة العلم من جهة سهولة حفظه وفهمه.

(٤) أن المنظومة تتضمن الرد على جملة من الطوائف المخالفة في العقيدة، فإخراجها مشروحة يعمّم النفع بها إن شاء اللَّه تعالى.

• أسباب اختيار دراسة وشرح المنظومة:

يرجع سبب اختيار دراسة وشرح المنظومة لأمور منها :

(١) الإسهام في إخراج المصنفات العقديّة، وإبراز تراث المتقدمين، الذين خدموا هذا الدين، وذبّوا عنه كلَّ ما يقدح في صفائه وبهائه .

(٢) الرغبة في الاستفادة والإفادة، حيث لا فائدة أسمى وأعظم من فائدة علم العقيدة، فبه السلامة في الدنيا، والنجاة في الآخرة .

(٣) تقبّل الناس للنظم -عمومًا- وإقبالهم عليه حفظًا ودراسةً وتدريسًا فأردت أن يكون في شرح هذه المنظومة وإبرازها، عونًا لطلبة العلم على الانتفاع بها .

(٤) أن هذه المنظومة لم يتطرّق أحدٌ لدراستها وشرحها -حسب علمي- رغم أهميتها في بابها .

❊ ❊ ❊

خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى قسمين:

القسم الأول: مقدمة وتمهيد: المقدمة وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: ويشتمل على دراسة المؤلف والمنظومة وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** دراسة المؤلف، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ووفاته.

المطلب الثاني: شيوخه.

المطلب الثالث: تلاميذه.

المطلب الرابع: مكانته العلمية.

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي.

- **المبحث الثاني:** دراسة المنظومة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسم المنظومة، وتوثيق صحة نسبتها إلى ناظمها.

المطلب الثاني: عدد أبيات المنظومة وموضوعها وطبعتها.

القسم الثاني: دراسة وشرح المنظومة: (من بدايتها إلى نهايتها)

- الخاتمة.
- أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.
- فهارس البحث.

❊ ❊ ❊

منهج البحث

اتبعت في الرسالة المنهج الآتي :

١) تطبيق المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على التتبع وينتهي باستخلاص النتائج والأحكام .

٢) ترقيم أبيات المنظومة ترقيمًا تسلسليًّا .

٣) ضبط أبيات المنظومة بالشكل .

٤) التعريف بما يحتاج إلى تعريف جاعلًا ذلك كله في الهامش، مع الإحالة للمصدر .

٥) أجتهدت قدر الإمكان في إعطاء الشرح حقه من البيان .

٦) عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية .

٧) خرَّجت الأحاديث الواردة في الشرح في الهامش، وعزوتها إلى مصادرها، مع بيان درجة الحديث . إذا لم يكن في الصحيحين أو أحدهما . من خلال كلام أهل العلم عليه صحةً وضعفًا .

٨) عزوت الآثار إلى مصادرها قدر الإمكان .

٩) حرصت على نقل أقوال المتقدمين من علماء السنة في المسائل المراد شرحها، مع الاستفادة من أقوال المتأخرين منهم .

١٠) الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط .

١١) وضعت فهارس علمية تعين على الاستفادة من الرسالة .

* * *

التمهيد

ويشتمل على دراسة المؤلف والمنظومة وفيه مبحثان:

المبحث الأول

دراسة المؤلف

وقد قسَّمتُ ما وقفت عليه في ترجمته في مطالب خمسة:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ووفاته.

هو الفقيه الأديب، أبو عبد اللَّه الحكم بن معبد بن أحمد بن عبيد بن عبد اللَّه بن الأحجم بن أسد بن أسيد، مات سنة خمس وتسعين ومائتين للهجرة رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

المطلب الثاني: شيوخه.

من أبرز مشايخه الذين تلقى العلم عنهم:

١- محمد بن أبي عمر العدني[2].

٢- محمد بن المثنى[3].

٣- محمد بن حميد الرازي[4].

٤- موسى بن عبد الرحمن بن مهدي.

---

(١) «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ الأصبهاني (٤/ ١٦٧).

(٢) «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للغزي (١/ ٢٦٣).

(٣) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد» (٢/ ٢١٧).

(٤) «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي» (١/ ٥٤٥).

٥- نصر بن علي الجهضمي[١].

المطلب الثالث: تلاميذه.

من أبرز تلاميذه الذين تلقوا العلم عنه:

١- عبد اللَّه بن محمد بن جعفر، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني.

٢- أبو نعيم أحمد بن عبد اللَّه بن أحمد الحافظ[٢].

المطلب الرابع: مكانته العلمية.

جاء في ترجمته أنه كان صاحبَ أدب وغريب، ثقة، كثير الحديث[٣].

وأخذه العلم عن تلاميذ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ دال على مكانته العلمية.

ومما أورده الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الحكم بن معبد أنه قال: «حدثني أحمد أبو عبد اللَّه الدورقي قال: قلت لأحمد بن حنبل: ما تقول في هؤلاء الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق؟ فرأيته استوى واجتمع وقال: هذا شرٌّ من قول الجهمية»[٤].

ومما يدل على مكانته العلمية مؤلفاته المنسوبة إليه واستفادة أكابر العلماء منها ومنها:

١- كتاب السنة في الحديث:

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحكم بن معبد بن أحمد، أبو عبد اللَّه الخزاعي

(١) «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ الأصبهاني (٤/ ١٦٧)، «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للغزي (١/ ٢٦٣).

(٢) «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للغزي (١/ ٢٦٣).

(٣) «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ الأصبهاني (١/ ١٥٢)، «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للغزي (١/ ٢٦٣).

(٤) «تاريخ الإسلام» (١٨/ ٨٥-٨٦).

الأديب، صاحب كتاب السنة)[١].

٢- كتاب الرد على الجهمية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وروى الحكم بن معبد في كتاب الرد على الجهمية»[٢].

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي.

عقيدة الحكم بن معبد الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي عقيدة السلف الصالح رحمهم اللَّه، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١- منظومته تظهر سلامة معتقده فأمارة السني حسن الاتباع والبراءة من البدع وأهلها.

٢- مصنفاته المشار إليها سابقًا دالة على سلامة توجهه.

٣- ثناء أصحاب السنة الأكابر عليه وذكرهم لبعض مروياته في مصنفاتهم، ومنهم: شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، والحافظ الذهبي[٤].

وأما مذهبه الفقهي: فقد **قال الصفدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان من أعيان الفقهاء الحنفية»[٥].

وقال الحافظ أبو نعيم: «تفقه على مذهب الكوفيين»[٦].

* * *

(١) «تاريخ الإسلام» (٢٢/ ١٤٠).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٢٣).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٣١).
(٤) «تاريخ الإسلام» (٢٢/ ١٤٠).
(٥) «الوافي بالوفيات» (٤/ ٣٠٧).
(٦) «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للغزي (١/ ٢٦٣).

المبحث الثاني

دراسة المنظومة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسم المنظومة، وتوثيق صحة نسبتها إلى ناظمها.

لم أقف على تسمية للمنظومة وقد نسَبها إليه وأثبت سماعها منه تلميذه الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وكان أديبًا شاعرًا أنشدنا الحكم لنفسه: منحتكم يا أهل ودي نصيحتي...»[(١)]، ونسبَها إليه ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)].

المطلب الثاني: عدد أبيات المنظومة وموضوعها وطبعتها.

بلغ عدد أبيات المنظومة: (١٦) بيتًا، وهي رائية من بحر (الطويل).

وموضوعها مشتمل على بيانه المقصود من نظم الأبيات وهو إعطاء النصيحة لمن يودهم وإظهار فخره بالانتساب للسنة وإشهارها.

وبين فيها أن أفضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم الخلفاء الراشدون، وأحقية أبي بكر في الخلافة على غيره من الصحابة، وأن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على سبيل العموم والخلفاء الراشدين على سبيل الخصوص هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، وهم أفضل من مشى على وجه الأرض، وأن حب الصحابة عمومًا ومنهم الخلفاء الراشدون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من شعب الإيمان المفروضة، وأن المهاجرين مقدمون على الأنصار في الفضل، وأن اللَّه سبحانه يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا، ثم بين أنه سائر على منهج النبي الهاشمي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو القدوة والأسوة الذي يُطاع ويُتَّبَع، ثم أظهر البراءة من مقالات الجهمية والقدرية والرافضة وعقيدة الإرجاء، ثم توسل الناظم إلى

---

(١) «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ الأصبهاني (٤/ ١٦٩).

(٢) «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن عبد الهادي (٣/ ١٠٠٨).

اللَّه ﷻ بصالح عمله، وهو لزوم الدين القيم والبراءة من البدع والمحدثات أن ينجيه بهذه القربة من النار.

وبعد البحث لم أجدها مطبوعة مفردة؛ بل وقفت عليها في ضمن كتاب طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني[1]، وكتاب محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن عبد الهادي[2].

* * *

(١) (٤/ ١٦٩).

(٢) (٣/ ١٠٠٨).

القسم الثاني
دراسة وشرح المنظومة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

١- مَـنَـحْـتُـكُـمُ يـا أَهْـلَ وُدِّيْ نَـصِـيْـحَـتِـيْ
وإِنِّـيْ بِـهـا فِـيْ الـعَـالَـمِـيْـنَ لَـمُـشْـتَـهَـرْ

بيَّن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مطلع منظومته أمرين :

الأمر الأول: مقصوده مِنْ نظمها.

وهو منح النصيحة التي ضمَّنها أبياته؛ أي : إعطاؤها[(١)] لمن يودهم؛ أي : يحبهم[(٢)]، والنصيحة : (كلمة جامعة معناها : حيازة الحظ للمنصوح له)[(٣)].

ولا شك أن القيام بها برهان المحبة الصادقة ودين اللَّه تعالى قائم عليها كما جاء في حديث تميم بن أوس الداري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال : «**الدين النصيحة**»، قلنا : لمن . قال : «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(٤)].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم»[(٥)].

ومن النصح لعموم المسلمين : بيان سنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ونشرها بينهم والدفاع

---

(١) «تاج العروس» (ص : ١٧٦٣).
(٢) «الصحاح في اللغة» (٢/ ٢٧١).
(٣) «فتح الباري» (١/ ١٣٨).
(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/ ٧٤).
(٥) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٧٩).

عنها، فهو أفضل من الانشغال بالعبادات القاصرة من الصلاة والصيام والحج والجهاد مع عظم هذه الأعمال.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة»[(١)].

وجاء عن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ أنه سئل: الرجل يصوم ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع. فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل[(٢)].

الأمر الثاني: إظهار فخره بالانتساب للسنة وإشهارها.

فقوله: «**وإنِّي بها في العالمين لمشتَهِر**» مقصوده أنه أشهر السنة بين الناس في العالمين من أهل محلَّته، وصَدَعَ بذلك حتى صار يُعرف بينهم بهذه الخصلة الحميدة، ولعله ذكر هذا القول من باب التحدث بنعمة اللَّه عليه فإن إشهار النصيحة والصدع بها مما يستوجب شكر اللَّه عليها قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحى: ١١].

وقد ورد عن السلف ما يدل على إظهارهم لنعمة الصدع بالحق.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قال: واللَّه ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني، فقيل: وكيف؟ فقال: واللَّه إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إليَّ فإذا انتهت إليَّ قمعتها بالسنة فترد عليه»[(٣)].

ولا شك أن إظهار الحق والصدع به هو الأصل ولا يصار إلى غيره إلا في حال

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨١).
(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٨/ ٢٣١).
(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ٥٥).

ترتب مفسدة أعظم يدل على ذلك نصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال ﷻ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٨-٢٩] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وجاء في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في اللَّه لومة لائم». رواه البخاري ومسلم[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قام خطيبًا فكان فيما قال: «**ألا لا يمنعن رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه**». رواه الترمذي وابن ماجة[(٢)]، وصححه الألباني[(٣)].

والصدع بالحق لا بد فيه من اجتماع الإخلاص والقوة والاستطاعة ومراعاة حال الزمان والمكان والأشخاص.

قال الإمام الذهبي رحمه الله في شأن محنة الإمام أحمد: «الصدع بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به والقوي بلا إخلاص يخذل، فمن قام بهما كاملًا، فهو صديق، ومن ضَعُف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب، وليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا باللَّه»[(٤)].

وقال الحافظ ابن عبد البر معلقًا على حديث عبادة بن الصامت المتقدم:

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٢/ ١٤٠)، «صحيح مسلم» (٩/ ٣٧٣).
(٢) «سنن الترمذي» (٨/ ١١٢)، «سنن ابن ماجة» (١٢/ ١١).
(٣) «السلسلة الصحيحة» برقم (١٦٨).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٣٤).

«وأما قوله: (لا نخاف في اللَّه لومة لائم) فقد أجمع المسلمون أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه في تغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره بيده، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكره بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك، والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدًّا، ولكنها كلها مقيدة بالاستطاعة»[1].

ولا بد فيه من مراعاة أحوال الأزمان والأماكن والأشخاص.

فإذا كانت شوكة أهل الباطل أقوى وإلحاق الأذى بمن يصدع بالحق مترجحًا فلا يلزم الصدع بالحق ولا إشهار عيب المخالف، ولهذا كان الإمام أحمد وغيره يفرقون في باب هجر المخالف «بين الأماكن التي كثرت فيها البدع كما كثر القدر في البصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه»[2].

وقد يقتضي المقام تحريم إشهار عيب المخالف كما لو كان المنكَرُ عليه حاكمًا مبتدعًا؛ لأن الأصل لزوم السرية في نصيحته كما دل عليه حديث عياض بن غنم رضي الله عنه أنه قال لهشام بن حكيم: ألم تسمع يا هشام رسول اللَّه ﷺ إذ يقول: «**من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية، وليأخذ بيده وليخل به؛ فإن قبلها قبلها، وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له**». رواه أحمد وابن أبي عاصم في السنة والحاكم واللفظ له[3].

---

(١) «التمهيد» (٢٣/ ٢٨٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٨/ ٢٠٦).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣/ ٤٠٤)، «السنة» لابن أبي عاصم (١٠/ ٩٦)، «المستدرك» (٣/ ٣٢٩)، وانظر: تحقيق الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة» لابن أبي عاصم (١٠٩٨).

٢- وأَظْـهَـرْتُ قَـوْلَ الـحَـقِّ والـسُّـنَّـةِ الَّـتـيْ
عَنِ الـمُـصْـطَفَى قَدْ صَحَّ عِنْدِيْ بِها الخَبَرْ

بيَّن الناظم في هذا البيت سبب اشتهاره بين الناس وهو صدعه بالحق والسنة الثابتة التي صحِّ بها الخبر وهو الحديث فهما مترادفان[١]، وهذا من خصائص أهل السنة والجماعة التي تميزوا بها عن أهل البدع فإنهم إنما سموا بذلك لعنايتهم بالسنة اعتقادًا وقولًا وعملًا وسموا بالجماعة لاجتماعهم على الحق متبعين في ذلك ما أجمع عليه السلف الصالح رحمهم اللَّه[٢]، ولا حقَّ إلا بما صح به الخبر، وعليه فالعمل بالضعيف في العقائد مما أجمع أهل العلم على المنع منه.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا فرق في العمل بالحديث في الأحكام أو الفضائل، إذ الكل شرع»[٣].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد سَوَّغ بعضُ أهل العلم العمل بالضعيف في ذلك مطلقا، وبعضهم منع من العمل بما لم تقم به الحجة مطلقًا، وهو الحق؛ لأن الأحكام الشرعية متساوية الأقدام، فلا يحل أن ينسب إلى الشرع مالم يثبت كونه شرعًا، لأن ذلك من التقول على اللَّه بما لم يقل»[٤].

وخالف أهل البدع في هذا الباب فطعنوا في الأحاديث الصحيحة وعملوا بالضعيف والموضوع وأنكروا أخبار الآحاد وقدَّموا العقل على النقل فقالوا على اللَّه بغير علم فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل[٥].

---

(١) «نزهة النظر» (ص: ٣٥).
(٢) انظر: «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٤٧٠)، «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣/ ١٢٩، ١٥٧، ١٥٨).
(٣) «تبيين العجب» (ص: ٢٢).
(٤) «وبل الغمام» (١/ ٥٤).
(٥) انظر: «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضًا ونقدًا»، د. سليمان الغصن (١/ ١٠٧-١٦٣- ٢٥٩).

٣- أَلَا إِنَّ خَـيْـرَ الـنّـاسِ بَـعْـدَ مُـحَـمَّـدٍ
عَـلَـيْـهِ سَـلَامٌ بِـالـعَـشِـيِّ وبِـالـبُـكَـرْ

بيَّن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا بعض ما يدين اللَّه عَزَّ وَجَلَّ به مما صحَّ به الخبر وهو اعتقاد أنَّ نبينا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أفضلُ الخلائق أجمعين، وقد ورد في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**». رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني[١].

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شك أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خير الخلائق تفصيلًا وجملًا، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ما خلق خلقًا ولا برأه أحب إليه من محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»[٢].

والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلَّم على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سلامًا متتابعًا بالعشي وهو آخر النهار وبالبكر وهو أول النهار[٣]، والمقصود بذلك كثرة السلام عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد رغَّب الشرع في كثرة الصلاة والسلام على النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن ذلك ما ورد في حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**من صلى علي صلاة واحدة صلى اللَّه عليه بها عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات**». رواه النسائي وصححه الألباني[٤].

والسلام يتضمن سلامته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من كل آفةٍ وعيبٍ[٥].

ولم يجمع الناظم بين الصلاة والسلام على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولعل الضرورة الشعرية ألجأته إلى ذلك، وإلا فإن السلام الكامل هو ما جمع فيه المرء بين

(١) «سنن الترمذي» (٣/ ١٤٤٠)، «سنن ابن ماجة» (١٣/ ٢٢)، «صحيح الجامع» (٢/ ٢١).
(٢) «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» (١/ ١٥).
(٣) انظر: «المصباح المنير» (٦/ ١٧١)، «لسان العرب» (٤/ ٧٦).
(٤) سنن النسائي» (١/ ٣٨٥)، «صحيح النسائي» برقم: (١٢٩٧).
(٥) انظر: «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص: ٨٤ وما بعدها)، و«فتح الباري» لابن حجر (١١/ ١٥٢، ١٥٣، ١٦٩).

الصلاة والسلام على النبي ﷺ، كما قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقل: صلى اللَّه عليه فقط، ولا عليه السلام فقط»(١).

قال ابن كثير معلقًا على كلام النووي المتقدم: «وهذا الذي قاله منتزعٌ من هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ فالأولى أن يقال: صلى اللَّه عليه وآله وسلم تسليمًا»(٢).

٤- أَبُــو بَــكْــرٍ الــصِّــدِّيْــقُ لِــلَّــهِ دَرُّهُ
عَـلَـى رُغْـمِ مَـنْ عَـادَى ومِـنْ بَـعْـدِهِ عُـمَـرْ

٥- وبَـعْـدَهُـمـا عُـثْـمـانُ ثُـمَّـتَ بَـعْـدَهُ
أبـو الـحَـسَـنِ الـمَـرْضِـيُّ مِـنْ أَفْـضَـلِ الـبَـشَـرْ

في هذين البيتين بيان أنَّ خير الخلائق بعد النبي ﷺ من أمته هم الخلفاء الراشدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة.

فأفضلهم أبو بكر الصديق، وقد لُقِّب بالصدِّيق لمبادرته إلى تصديق الرسول ﷺ، وملازمته الصدق.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمعت الأئمة على تسميته صديقًا. قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ اللَّه تعالى هو الذي سمى أبا بكر على لسان رسول اللَّه ﷺ صديقًا، وسبب تسميته أنه بادر إلى تصديق رسول اللَّه ﷺ ولازم الصدق، فلم يقع منهم هناة ولا وقفة في حال من الأحوال»(٣).

(١) «الأذكار» للنووي (ص٩٣).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥١٨).
(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ١٨١).

وقول الناظم: «**لله درُّه**» هذا أسلوب مدحٍ له؛ أي: كثُرَ خيره وفضله حتى صار عمله يدعو للعجب، والدَّرُ في الأصل ما يدر: أي ما ينزل من الضرع من اللبن، ومن الغيم من المطر، وهو هنا كناية عن فعل الممدوح الصادر عنه؛ وإنما نسب فعله للَّه تعالى قصدًا للتعجب منه، لأن اللَّه تعالى منشئ العجائب، وكلُّ شيء عظيم يريدون التعجب منه ينسبونه إليه تعالى ويضيفونه إليه؛ فمعنى للَّه دره: ما أعجب فعله[1].

وقول الناظم: «**عَلَى رُغْمِ مَنْ عَادَى**» بيان أنَّ فضل أبي بكر رضي الله عنه ثابتٌ وإن رغمت أنوف من عادة، فمن تعرَّض له بتنقُّصٍ فأنفه في الرغام وهو: التراب وفي ذلك كناية عن استحقاقه للإذلال والإهانة[2].

ثم من بعده في الفضل عمر بن الخطَّاب، ثم عثمان بن عفان، ثمت بعده علي بن أبي طالب أبو الحسن المرضي عنه من اللَّه تعالى، فهو من جملة الصحابة الذين قال اللَّه تعالى في شأنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:].

وقولُ الناظم: «**ثمَّت بعده**»، (ثم): حرف عطف يدل على الترتيب مع التراخي في الزمن وتلحقه التاء المفتوحة فيقال ثمت ويوقف عليها بالتاء[3].

وقوله: «**من أفضل البشر**» المراد: أنَّ الخلفاء الراشدين أفضل البشر من هذه الأمة المحمدية، مع تفاضلهم فيما بينهم.

ومن الشواهد على تقرير ترتيب الصحابة في الفضل: حديث أبي عثمان النهدي رحمه الله أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك. قال: «**عائشة**». قلت: من

(١) انظر: «رد المحتار على الدر المختار» لابن عابدين (١/ ٣٣).
(٢) انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٣٥٨).
(٣) انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ١٠١).

الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**». فعد رجالًا فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الحديث: «وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر ثم عمر على جميع الصحابة» اهـ[(٢)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي لا نفاضل بينهم»[(٣)].

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (لا نعدل بأبي بكر أحدًا)؛ أي: لا نجعل أحدًا مثلًا له، ثم عمر كذلك، ثم عثمان كذلك»[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما تفضيل أبى بكر ثم عمر على عثمان وعلي؛ فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهو مذهب مالك[(٥)] وأهل المدينة، والليث بن سعد وأهل مصر، والأوزاعي وأهل الشام، وسفيان الثوري وأبى حنيفة[(٦)] وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم من أهل العراق، وهو مذهب الشافعي[(٧)] وأحمد[(٨)] وإسحاق وأبي عبيد، وغير هؤلاء من أئمة الاسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة، وحكى مالك إجماع أهل المدينة على ذلك فقال: ما أدركت أحدًا ممن أقتدي به يشك في تقديم أبى بكر وعمر»[(٩)].

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٤/ ١٥٨٤)، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ١٨٥٦).
(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم»، (١٥/ ١٥٣).
(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٣/ ١٣٥٢).
(٤) «عمدة القاري» (١٦/ ٢٠٥).
(٥) انظر: «الثمر الداني شرح رسالة القيرواني» (١/ ٢٣).
(٦) انظر: الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة (ص٤١).
(٧) انظر: الرسالة للشافعي (ص٤١٩).
(٨) انظر: مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد اللَّه (١/ ٤٤٠).
(٩) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٢١).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأفضل الصحابة، بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ: أبو بكر الصديق، ثم من بعده عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب»(١).

ومن عقيدة السلف: أنهم يرون أحقية أبي بكر في الخلافة على غيره من الصحابة ولم ينازع في هذا أحد.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع الناس على خلافة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وذلك أنه اضطر الناس بعد رسول اللَّه فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرًا من أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فولوه رقابهم»(٢).

ومما يدل على أهلية أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **للخلافة وتقديمه على غيره:** حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «مرض النبي فاشتد مرضه فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، فعادت فقال: «**مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف**»، فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي»(٣).

وقد فهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من هذا الحديث أن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أهل للخلافة وأحق من غيره.

فعن عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لما قبض رسول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول اللَّه قد أمر أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم

---

(١) «الباعث الحثيث» (ص: ١٨٣).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٨/ ١٣٩٣)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيتمي (١/ ٤٠).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (١/ ٢٤٠)، ومسلم في «صحيحه» (١/ ٣١٦).

أبا بكر رضي الله عنه؟ فقالت الأنصار: نعوذ باللَّه أن نتقدم أبا بكر رضي الله عنه»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ثم بايعوا أبا بكر رضي الله عنه من غير طلب منه، ولا رغبة بذلت لهم ولا رهبة، فبايعه الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة، والذين بايعوه ليلة العقبة، والذين بايعوه لما كانوا يهاجرون إليه، والذين بايعوه لما كانوا يسلمون من غير هجرة؛ كالطلقاء وغيرهم، ولم يقل أحد قط: إني أحق بهذا من أبي بكر، ولا قال أحد في أحد بعينه: إن فلانًا أحق بهذا الأمر من أبي بكر رضي الله عنه»[٢].

وقد اختلف بعض أهل السنة في التفضيل بين عثمان وعلي رضي الله عنهما، أما ترتيبهم في الخلافة فلا خلاف في أنَّ أحقهم بها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ثم استقرت كلمة أهل السنة والجماعة فيما بعد على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

قال الشافعي رحمه الله: «ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان»[٣].

وقال ابن الصلاح رحمه الله: «وتقديم عثمان هو الذي استقرت عليه مذاهب أصحاب الحديث وأهل السنة»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما جمهور الناس ففضلوا عثمان، وعليه استقر أمر أهل السنة، وهو مذهب أهل الحديث ومشايخ الزهد والتصوف وأئمة الفقهاء كالشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه وأبي حنيفة وأصحابه وإحدى الروايتين عن مالك وأصحابه، وذكر أن هذا هو مذهب جماهير أهل الكلام، ونقل عن أبي أيوب السختياني قوله: من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين

---

(١) «المسند» للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٢١). قال محقق «المسند» (١/ ٢٨٢): «إسناده حسن».

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٤٥٥).

(٣) «الاعتقاد للبيهقي» (١/ ٣٦٩).

(٤) «مقدمة ابن الصلاح» (١/ ١٨١).

والأنصار قال: وهكذا قال أحمد والدارقطني وغيرهما»[١].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر، وقال جمهورهم: ثم عثمان، ثم علي»[٢].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإجماع انعقد بآخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين»[٣].

٦- أُوْلَـئِـكَ أَعْـلامُ الـهُـدَى ورُؤُوْسُـهُ وأَفْضَلُ مَنْ فيْ الأَرْضِ يَمْشِي عَلَى العَفَرْ

لا شكَّ أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على سبيل العموم والخلفاء الراشدين على سبيل الخصوص هم أعلام الهدى الذين يستدل الناس بهم وبهديهم يهتدون، وهم رُؤُوسُ الناس وأعلاهم منزلة ومكانة، وهم مَنْ يقودون الخلق إلى الحق، فالكتاب والسنة يُفهمان وفق أفهامهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم أفضل من مشى على العَفَر؛ أي: على التراب ووجه الأرض[٤]، بدليل حديث عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**». رواه البخاري ومسلم[٥].

وجاء في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٦].

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٢٠٢).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ١٤٨).
(٣) «فتح الباري» (٧/ ٣٤).
(٤) انظر: «الصحاح» (١/ ٤٨٠).
(٥) «صحيح البخاري» (٩/ ١٣٣)، «صحيح مسلم» (١٢/ ٣٥٨).
(٦) رواه أبو داود في «سننه» (٤/ ٢٠٠)، والترمذي وصححه (٥/ ٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٦٩).

فمن سار على نهجهم استقام له دينه وسلِم من الأهواء والبدع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من اللَّه عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على اللَّه»[(١)] .

٧- وحُـبُّـهُـمُ فَـرْضٌ عَـلَـى كُـلِّ مُـسْـلِـمٍ
وحُـبُّـهُـمُ فَـخْـرُ الـفَـخُـورِ إذا افْـتَـخَـرْ

حبُّ الصحابة عمومًا ومنهم الخلفاء الراشدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من شعب الإيمان المفروضة وكيف لا نحب من أثنى عليه اللَّه وعظَّمه؟

وقد كان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يتقربون إلى اللَّه بمحبة الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ويعدُّون ذلك من أفضل أعمالهم وأرجاها عند اللَّه، ويفتخرون بذلك .

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رجلًا سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الساعة فقال : متى الساعة؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**وماذا أعددت لها**» . قال : لا شيء إلا أني أحب اللَّه ورسوله، فقَال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**أنت مع من أحببت**»، فقال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**أنت مع من أحببت**»، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «فأنا أحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم» . رواه البخاري[(٢)] .

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إنه لعهد النبي الأمي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إليَّ إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» رواه مسلم[(٣)] .

---

(١) «العقيدة الواسطية» (ص : ٢٦) .
(٢) «صحيح البخاري» (١٢/ ٢١) .
(٣) «صحيح مسلم» (١/ ٦٠) .

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونحب أصحاب رسول اللَّه، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[(١)].

وإظهار مكارمهم ومناقبهم والافتخار بها من توليهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقد قال جل وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١].

قال أبو نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالواجب على المسلمين في أصحاب رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إظهار ما مدحهم اللَّه تعالى به وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وجميل سوابقهم وأن يغضوا عما كان منهم في حال الغضب والإغفال وفرط منهم عند استزلال الشيطان إياهم ونأخذ في ذكرهم بما أخبر اللَّه تعالى به فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآية [الحشر: ١٠]، فإن الهفوة والزلل والغضب والحدة والإفراط لا يخلو منه أحد، وهو لهم مغفور، ولا يوجب ذلك البراء منهم، ولا العداوة لهم، ولكن يحب على السابقة الحميدة ويتولى للمنقبة الشريفة»[(٢)].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ لما سئل: حب أبي بكر وعمر سُنة؟ قال: لا، فريضة[(٣)].

وقد ورد عن علي ما يدل على أن محبة الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من خصال المؤمنين.

فقد أخرج أبو نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الحلية: «أن سويد بن غفلة دخل على عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إمارته فقال: يا أمير المؤمنين إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بغير الذي هما أهلٌ له من الإسلام، فنهض إلى المنبر وهو قابض على

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٥٢٨).
(٢) «الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني» (ص: ٣٤١-٣٤٢).
(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٧/ ١٢٣٧-١٢٤٠).

يدي، فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبُّهما إلا مؤمن فاضل، ولا يبغضهما ولا يخالفهما إلا شقيٌّ مارق، فحبُّهما قربة، وبغضهما مروق، ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول اللَّه ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين، فأنا بريء ممن يذكرهما، وعليه معاقب»(١).

وهذه العقيدة كانت مستقرة عند السلف بل كانوا ينشئون أولادهم عليها، فعن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: «كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن»(٢).

وجاء عن بشر بن الحارث رحمه الله أنه قال: «أوثق عملي في نفسي حب أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم»(٣).

٨- وحُبُّ الأُلَى قَدْ هاجَرُوا ثُمَّ جَاهَدُوا

فَفَرْضٌ ومَنْ آوَى النَّبِيَّ ومَنْ نَصَرْ

لمَّا بيَّن الناظم في البيت السابق أنَّ حبَّ الخلفاء الراشدين فرضٌ، أعقبه ببيان فرضية حبِّ المهاجرين الذين هجروا ديارهم وأموالهم وقومهم في نصرة الدين، وجاهدوا في سبيل اللَّه تعالى، وأنَّ حبَّ الأنصار الذين آووا رسولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، وأسكنوا المهاجرين ديارهم، ونصروهم على أعدائهم فرضٌ أيضًا(٤).

وحبُّ عموم الصحابة الكرام من شعب الإيمان.

قال العيني رحمه الله معدّدًا شعب الإيمان: «الحادية عشرة: الحب في اللَّه والبغض في اللَّه، ويدخل فيه حب الصحابة المهاجرين والأنصار، وحب آل

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٠١)، ورجاله موثقون، عدا هاشم بن مرثد فقد قال عنه الخليلي: «ثقة ولكنه صاحب غرائب». «الإرشاد للخليلي» (٢/ ٤٨٤).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٧/ ١٢٤٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٣٨).

(٤) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ٢٢٧).

الرسول ﷺ»[١].

وقد دلت النصوص الشرعية على تقديم المهاجرين على الأنصار في الفضل؛ لأنهم جمعوا بين الهجرة والنصرة، وقد جاء تقديمهم في القرآن، ولأن كل العشرة المشهود لهم بالجنة من المهاجرين قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، وقوله ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

ومما يدل على وجوب محبة الأنصار ﵃: حديث أنس ﵁ عن النبي ﷺ، قال: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»[٢].

ومعنى قوله ﷺ هذا: «أن علامات كمال إيمان الإنسان، أو نفس إيمانه حب مؤمني الأوس والخزرج لحسن وفائهم بما عاهدوا اللَّه عليه من إيواء نبيه ﷺ ونصره على أعدائه زمن الضعف والعسرة وحسن جواره ورسوخ صدقاتهم وخلوص مودتهم ولا يلزم منه ترجيحهم على المهاجرين الذين فارقوا أوطانهم وأهليهم وحرموا أموالهم حبًّا له ورومًا لرضاه. «وآية النفاق» بالمعنى الخاص «بغض الأنصار»، صرح به مع فهمه مما قبله لاقتضاء المقام التأكيد، ولم يقابل الإيمان بالكفر الذي هو ضده؛ لأن الكلام فيمن ظاهره الإيمان، وباطنه الكفر فميزه عن ذوي الإيمان الحقيقي، فلم يقل آية الكفر لكونه غير كافر ظاهرًا، وخص الأنصار بهذه المنقبة العظمى، لما امتازوا به من الفضائل، فكان اختصاصهم بها مظنة الحسد الموجب للبغض، فوجب التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم، وأبرز ذلك في هذين التركيبين المفيدين للحصر؛ لأن المبتدأ والخبر فيهما معرفتان، فجعل ذلك آية الإيمان والنفاق على منهج القصر

(١) «عمدة القاري» للعيني (١/ ١٢٨).
(٢) «صحيح البخاري» (١٢/ ١).

الإدعائي، حتى كأنه: لا علامة للإيمان إلا حبهم، وليس حبهم إلا علامته، ولا علامة للنفاق إلا بغضهم، وليس بغضهم إلا علامته تنويهًا بعظيم فضلهم، وتنبيهًا على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في المعنى مشاركًا لهم في الفضل كل بقسطه»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة: «ويفضلون من أنفق من قبل الفتح -وهو صلح الحديبية- وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار»[(٢)].

وهذا التفضيل إنما هو باعتبار النوع لا الأفراد.

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه اللَّه: «وإذا قلنا: إن المهاجرين مقدمون على الأنصار المقصود به تقديم النوع على النوع . . . أما تفضيل الفرد من هؤلاء على الفرد من أولئك فهذا لا يكون إلا بنص، يعني الأصل في المهاجرين أنهم أفضل من الأنصار، قد يكون الواحد من الأنصار أفضل من واحد من المهاجرين لكن من حيث النوع فإن المهاجرين أفضل»[(٣)].

٩- وأَشْـــهَـــدُ أَنَّ الـــلَّـــهَ لا رَبَّ غَـــيْـــرُهُ
لَـهُ الـفَـضْـلُ والـنَّـعْـمـاءُ والـحَـمْـدُ والـشُّـكْـرْ

في هذا البيت إقرار من الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بكلمة التوحيد وأنه لا يستحق العبادة إلا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، «فالشهادة: هي التعبير عما تيقنه الإنسان بقلبه: فقول: أشهد أن لا إله إلا اللَّه؛ أي: أنطق بلساني معبرا عما يكنه قلبي من اليقين، وهو أنه لا إله إلا اللَّه»[(٤)].

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (١/ ٦٢).
(٢) «العقيدة الواسطية» (ص: ٢٦).
(٣) «شرح العقيدة الواسطية» ضمن مجموعة رسائله (٣٣/ ١٦٥).
(٤) «القول المفيد» لابن عثيمين (١/ ١٥٩).

ومعنى قوله: «لا رب غيره»؛ أي: أنه لا يستحق العبادة سواه، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الرب المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وعبادته هي الحق، وعبادة غيره باطلة»[١].

وكلمة التوحيد متركبة من نفي وإثبات.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير اللَّه كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت، ومعنى الإثبات منها: إفراد اللَّه جلَّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام»[٢].

وقد اشتملت أقسام التوحيد الثلاثة على معنى «لا إله إلا اللَّه» وهو: لا معبود بحق إلا اللَّه ولا يمكن تحقيق هذا المعنى إلا إذا أتى العبد بشروطها اعتقادًا وقولًا وعملًا، «وكل من عقل عن اللَّه يعلم علمًا ضروريًّا أن المقصود من الشهادتين ما دلتا عليه من الحقيقة والمعنى، وما اشتملتا عليه من العلم والعمل. وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناهما ولا اعتقاد لحقيقتهما فهذا لا يفيد العبد شيئًا، ولا يخلصه من شعب الشرك وفروعه»[٣].

ثم لمَّا كانت أعظم النعم على الإطلاق نعمة الإسلام التي جميع النعم تبع لها حَمِدَ الناظم ربَّه وشكره ونَسَبَ الفضل والنعمة إليه؛ لأنه هو الذي هداه للتوحيد وعافاه من الشرك، وأسدى عليه نعمه الغزيرة التي لا تعد ولا تحصى، فقال: **(لَهُ الفَضْلُ والنَّعْماءُ والحَمْدُ والشُّكَرْ)**، بفتح الكاف، لأجل الضرورة الشعرية، والأصل: إسكانها.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٥٣٤).
(٢) «إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد» للشوكاني (ص: ٤).
(٣) «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» (ص: ١٦١).

وكيف لا يُثنى عليه وجميع النعم بيده يؤتيها من يشاء كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فهو المستحق للثناء المطلق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والفرق بين الحمد والشكر بيَّنه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا: أن الشكر يكون: بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعةً وانقيادًا، ومتعلقه: النعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا اللَّه على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم؛ فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان»[1].

١٠- سَيَبْدُو لَنَا يَوْمَ القِيَامَةِ بَارِزًا فَنُبْصِرُهُ جَهْرًا كَمَا نُبْصِرُ القَمَرْ

في هذا البيت إثبات رؤية المؤمنين لربهم عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة بأبصارهم وقد تواطأ على إثبات ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث على أن اللَّه سبحانه يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا، وكما ترى الشمس في الظهيرة»[2].

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأجمع جمع أهل الحق واتفق أهل

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٦).
(٢) «حادي الأرواح» (ص: ٢٤١).

التوحيد والصدق: أن اللَّه يُرى في الآخرة، كما جاء في كتابه، وصح به النقل عن رسوله»[١].

وقال الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمعوا على أن المؤمنين يرون اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى»[٢].

ومن أدلة الكتاب العزيز على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وجوه المؤمنين المصدقين في إيمانهم يَوْمَئِذٍ: يوم القيامة، نَّاضِرَةٌ: حسنة جميلة ناعمة، إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ: ينظرون إلى وجه ربهم لا يحجبون عنه»[٣].

وقوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه اللَّه الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحذيفة، وأبو موسى، وعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو قول الحسن، وعكرمة وعطاء، ومقاتل، والضحاك، والسدي»[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

قال جابر وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هو النظر إلى وجه اللَّه الكريم»[٥].

وأما من السنة: فقد جاء في حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر،**

---

(١) «عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» (ص ٣٠- ٣١).
(٢) «رسالة إلى أهل الثغر» (ص: ٧٦).
(٣) «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (٢/ ١١٨).
(٤) «معالم التنزيل» (٤/ ١٣٠).
(٥) «معالم التنزيل» (٧/ ٣٦٣).

لا تضامون في رؤيته؛ فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس؛ فافعلوا». رواه البخاري ومسلم(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي ترونه رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقة كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئى بالمرئي»(٢).

١١- وأَنَّ كَلامَ اللَّهِ لَيْسَ بِمُحْدَثٍ ... ومَنْ قالَ مَخْلُوقٌ فَبِاللَّهِ قَدْ كَفَرْ

في هذا البيت إثبات صفة الكلام للَّه عَزَّوَجَلَّ وهو صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع.

وقد دل على إثبات صفة الكلام الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك اللَّه برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق**» فقال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**فحج آدم موسى. مرتين**». رواه البخاري ومسلم(٣).

«وأجمع السلف على ثبوت الكلام للَّه فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو كلام حقيقي يليق باللَّه، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة»(٤).

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٢/ ٤٤٤)، «صحيح مسلم» (٣/ ٣٣٦).
(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٥/ ١٣٤).
(٣) «صحيح البخاري» (١١/ ٢١٣)، «صحيح مسلم» (١٣/ ١١٣).
(٤) «لمعة الاعتقاد» (ص: ٧٢).

وفي هذا البيت تنبيه إلى أن كلام اللَّه ليس بمحدث؛ أي: ليس بمخلوق ومن زعم أنه مخلوق - كما يدَّعيه المتكلمون- فقد كفر؛ لأنه ردَّ النصوص المتظافرة الدالة على أنَّ القرآن منزل غير مخلوق مِنْ مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]؛ ولأن القرآن من عِلْم اللَّه، فمن زعم أن عِلْم اللَّه مخلوق فهو كافر.

والآثار عن السلف في أنَّ كلام اللَّه ليس بمخلوق، وأنَّ من خالف في ذلك فقد كفر كثيرة منها:

قول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآن كلام اللَّه وتنزيله؛ إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه: كلام اللَّه غير مخلوق»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يقل أحد من السلف: إن نفس الكلام المعين قديم، وكانوا يقولون: القرآن كلام اللَّه منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود»(٢).

وقال أيضًا: «وقال وَكِيع بن الجراح: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئًا من اللَّه مخلوق. فقيل له: من أين قلت هذا؟ قال: لأن اللَّه يقول: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣]، ولا يكون من اللَّه شيء مخلوق. وهذا القول قاله غير واحد من السلف»(٣).

وقال هارون الفروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم أسمع أحدًا من أهل العلم بالمدينة، وأهل السنن، إلا وهم ينكرون على من قال: القرآن مخلوق، ويكفرونه»(٤).

وقال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من زعم لك أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر

---

(١) «صريح السنة» للطبري (ص: ٣).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ٤٧٨).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١/ ٤٤٠).
(٤) «الشريعة» للآجري (١/ ٧٦).

زنديق عدو اللَّه تعالى، لا تجالسه ولا تكلمه»(١).

وقال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآن كلام اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وكلام اللَّه تعالى من اللَّه سبحانه، وليس من اللَّه جل وعلا شيء مخلوق»(٢).

وقال الحسن بن أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت أحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام اللَّه غير مخلوق، قال: قلت: ما تقول فيمن قال مخلوق. قال: كافر، قلت: بم أكفرته. قال: بآيات من كتاب اللَّه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، و﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]، فالقرآن علم اللَّه فمن زعم أن علم اللَّه مخلوق فقد كفر»(٣).

وقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق رده على من يقول بخلق القرآن: «فكره ابن المبارك حكاية كلامهم قبل أن يعلنوه، فلما أعلنوه أنكر عليهم وعابهم بذلك، وكذلك قال ابن حنبل: كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بدًّا من مخالفتهم والرد عليهم»(٤).

ولما طُلبَ من الإمام أحمد السكوت وعدم الخوض في مسائل خلق القرآن قال: «اسكتوا نسكت»(٥).

ومع ما تقدم فإنه وإنْ كان القول بخلق القرآن كفرًا، فإن قائله لا يكفر حتى تقام عليه الحجة، فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي اشتهر عنه القول بتكفير من قال إن القرآن مخلوق كان يصلي خلف من يقول بهذه المقالة، وكان يدعو للمأمون ويرى السمع والطاعة له بالمعروف ففرق بين الحكم العام والحكم المتعلق بالمعين؛ لأن من

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) «الشريعة» للآجري (١/ ٧٦).

(٤) «نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي» (ص: ٥٣٨).

(٥) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص: ٥٥).

يقع في المقالة الكفرية قد تكون عنده شبهة عارضة، لها وجه في التأويل تدفع[(١)].

١٢- أَدِيْـنُ بِـقَـوْلِ الـهـاشِـمِـيِّ مُـحَـمَّـدٍ
وَمَـا بِـمَـقَـالِ الـجَـهْـمِ دِنْـتُ ولا الـقَـدَرْ

١٣- ولا الـرَّفْـضُ والإِرْجـاءُ دِيْـنِـيْ وإنـنـي
لَـبَـانٍ عَـلَـى الـتَّـنْـزِيْـلِ ثُـمَّ عَـلَـى الأَثَـرْ

بيَّن الناظم في هذه الأبيات أمرين:

الأمر الأول: بيان ما يدين للَّه به وهو اتباع منهج النبي الهاشمي ﷺ فهو الذي يُطاع ويُخضَع له[(٢)].

وتُعرف أسرة النبي ﷺ بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف[(٣)].

قال المؤرخون: اسمه عمرو، وَغَلَبَ عليه لقبه: (هاشم)؛ لأنه أول من هشم الثريد مع اللحم لقومه في مكة في سني المحل، وهو أحد الأجواد الذين ضرب بهم المثل في الكرم، وأحد من انتهت إليه السيادة في الجاهلية[(٤)].

ونبينا الكريم هو القدوة والأسوة الذي يُطاع ويُتَّبَع.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول اللَّه ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله»[(٥)].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) انظر مادة: (دَيَنَ) في «لسان العرب» (١٣/ ١٦٤).
(٣) «اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون» (١/ ٤٦).
(٤) انظر: «طبقات ابن سعد» (١/ ٧٥).
(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٣٩١).

الأمر الثاني: إظهار البراءة من البدع الذي يتضمن البراءة من أهلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا بد من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم؛ بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق، لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين، ولم تكن كذلك؛ لوجب بيان حالها»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم على مَنْ عارَضَ حديث رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ برأي أو قياس أو استحسان أو قول أحد من الناس كائنًا من كان، ويهجرون من فعل ذلك، وينكرون على من يضرب له الأمثال، ولا يسوغون غير الانقياد له والتسليم وبالتلقي بالسمع والطاعة، ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله حتى يشهد له عمل أو قياس أو يوافق قول فلان وفلان؛ بل كانوا عاملين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]»[(٢)].

وقد ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أربعة من الفرق التي يدين اللَّه بمخالفتها والبراءة من مقالاتها وعقائدها لعظيم ضررها في زمانه وهي:

أولًا: مقالات الجهمية:

وهي طائفة تنتسب للجهم بن صفوان: السمرقندي، أبو محرز، قال عنه الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هلك في زمان التابعين... وزرع شرًّا عظيمًا»[(٣)].

والذى تفرد به جهم: القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الايمان هو المعرفة باللَّه فقط، والكفر هو الجهل به فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا اللَّه وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٣).

(٢) «إعلام الموقعين» (٤/ ٢٤٤).

(٣) انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٢٦).

المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس اللَّه سبحانه، إلا أنه خلق للانسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختيارًا له منفردًا له بذلك، كما خلق له طولًا كان به طويلًا، ولونًا كان به متلونًا، وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر ابن كثير أنه قتل سنة (١٢٨هـ)[١].

والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتاب مسند في الرد على الجهمية، نسبَه إليه ابن تيمية حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنهم أنكروا مقالة الجهمية الذين جعلوا القرآن مخلوقًا منفصلًا عن اللَّه بل كفروا من قال ذلك والكتب الموجودة فيها ألفاظهم بأسانيدها وغير أسانيدها كثيرة: مثل: . . . و«الرد على الجهمية» للحكم بن معبد الخزاعي»[٢].

ثانيًا: عقيدة القدرية:

والقدرية وهم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة، وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشر والضر والنفع والطاعة والمعصية والهدى والضلال، وأن العباد يعملون بدءًا من غير أن يكون سبق له ذلك من اللَّه عَزَّوَجَلَّ أو في علمه، وقولهم يضارع قول المجوسية والنصرانية وهو أصل الزندقة[٣].

وقد قسَّمهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ثلاثة أقسام فقال:

«وأهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية ومشركية وإبليسية.

فالمجوسية: الذين كذبوا بقدر اللَّه وإن آمنوا بأمره ونهيه: فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقه وقدرته وهؤلاء هم

(١) انظر: «لسان الميزان» (٢/ ١٢٤)، و«مقالات الإسلاميين» للأشعري (١/ ٢٧٩)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ٢٧)، و«خطط المقريزي» (٢/ ٣٤٩، ٣٥١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٧٤).

(٣) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٣١).

المعتزلة ومن وافقهم.

والفرقة الثانية: المشركية الذين أقروا بالقضاء والقدر وأنكروا الأمر والنهي قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء وهذا قد كثر فيمن يدعي الحقيقة من المتصوفة.

والفرقة الثالثة: وهم الإبليسية الذين أقروا بالأمرين لكن جعلوا هذا متناقضًا من الرب ﷻ وطعنوا في حكمته وعدله كما يذكر ذلك عن إبليس مقدمهم: كما نقله أهل المقالات ونقل عن أهل الكتاب»[١].

ثالثًا: عقيدة الرافضة.

والرافضة: هم الذين يغلون في علي رضي الله عنه وأهل بيته، ويعتقدون أحقيتهم بالخلافة، ويتبرؤون من أبي بكر وعمر، ويطعنون في أصحاب النبي ﷺ إلا نفرًا قليلًا منهم[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لفظ الرافضة أول ما ظهر في الإسلام، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك، واتبعه الشيعة، فسُئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضتموني رفضتموني، فسموا الرافضة»[٣].

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر»[٤].

(١) «العقيدة التدمرية» (ص: ٨٢).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٦)، «فرق معاصرة» د. غالب عواجي (١/ ٣١٦)، «الموسوعة الميسرة» د. مانع الجهني (٢/ ١٠٦٩-١٠٩٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٦).

(٤) مقالات الإسلاميين» (١/ ٨٩).

رابعًا: عقيدة الإرجاء.

وقد عرَّف الشهرستاني رَحِمَهُ اللَّهُ **الإرجاء بقوله**: «الإرجاء على معنيين:

أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]؛ أي: أمهله وأخره.

والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمرجئة **ثلاثة أصناف**:

الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه وذكر فرقًا كثيرة يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل أقوالهم، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه.

و القول الثاني: من يقول: هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

والثالث: تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم»[٢].

ولما أظهر البراءة من هذه الفرق والطوائف قال: «**وإنني لَبَانٍ عَلَى التَّنْزِيْلِ ثُمَّ عَلَى الأَثَرْ**»، فبيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ دينه الذي يدين اللَّه به مبنيٌّ على التنزيل وهو القرآن الكريم الذي تدخل فيه السنة لأنها وحيٌ، وعلى آثار السلف الكرام، وهذا الدين يأمر بالبراءة من البدع، وأهلها.

---

(١) «الملل والنحل» (١/ ١٣٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٩٦).

وقد دلَّت النصوص على أنَّ من رامَ السلامة في دينه فعليه اجتناب البدع وأهلها فذلك عنوان السعادة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد بالخوض في آيات اللَّه: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، فأمر اللَّه رسوله أصلا وأمته تبعًا، إذا رأوا من يخوض بآيات اللَّه بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره»[(١)].

وعن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أيمُ اللَّهِ لقد سمعتُ رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواها**»[(٢)].

وأما الآثار الواردة عن أهل السنة في عيب أهل البدع والتحذير منهم فهي كثيرة منها:

قول عبد الرحمن بن أبي الزناد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما برح من أدركنا من أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب، ويعيبون الأخذ بالرأي أشد العيب وينهون عن لقائهم ومجالستهم ويحذرونا مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرونا أنهم أهل ضلال وتحريف لتأويل كتاب اللَّه وسنن رسوله وما توفي رسول اللَّه حتى كره المسائل والتنقيب والبحث عن الأمور، وزجر عن ذلك، وحذر المسلمين في غير موطن...»[(٣)].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٢٦٠).
(٢) رواه أبو داود (١١/ ٣٣٢)، وصححه الألباني.
(٣) «الحجة في بيان المحجة» للأصبهاني (١/ ٣٠٧).

وروى اللالكائي بسنده عن ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يغلظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدًا»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «القسم الرابع: من مخالطته الهلاك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم؛ فإن اتفق لأكله ترياق وإلا فأحسن اللَّه فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم اللَّه، وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول اللَّه ﷺ، الداعون إلى خلافها، الذين يصدون عن سبيل اللَّه ويبغونها عوجًا، فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة، والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا، إن جردت التوحيد بينهم قالوا: تنقصت جناب الأولياء والصالحين، وإن جردت المتابعة لرسول اللَّه ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين، وإن وصفت اللَّه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا: أنت من المشبهين، وإن أمرت بما أمر اللَّه به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى اللَّه عنه ورسوله من المنكر قالوا: أنت من المفتنين، وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المضلين، وإن انقطعت إلى اللَّه تعالى وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا: أنت من المبلسين، وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم، فأنت عند اللَّه تعالى من الخاسرين، وعندهم من المنافقين، فالحزم كل الحزم التماس مرضاة اللَّه تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغل بإعتابهم ولا باستعتابهم، ولا تبالي بذمهم ولا بغضبهم، فإنه عين كمالك»[(٢)].

وقال الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا علم تحريم موالاة أعداء اللَّه تعالى وموادتهم فليعلم أيضًا أن الأسباب الجالبة لموالاتهم وموادتهم كثيرة جدًّا ومن

(١) «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٧٩).
(٢) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٩٩-٥٠٠).

أقربها وسيلة مساكنتهم في الديار، ولا سيما في ديارهم الخاصة بهم ومخالطتهم في الأعمال ومجالستهم ومصاحبتهم وزيارتهم وتولي أعمالهم والتزيي بزيهم والتأدب بآدابهم وتعظيمهم بالقول والفعل، وكثير من المسلمين واقعون في ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

١٤- فَـدِيْـنِـيَ دِيْـنٌ قَـيِّـمٌ قَـدْ عَـرَفْـتُـهُ
أَبُـوْحُ بِـهِ إنْ مُـلْـحِـدٌ دِيْـنَـهُ سَـتَـرْ

بيَّن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الدين الذي يتعبد للَّه به هو دين الملة المستقيمة الذي عَرَفه الناظم عن طريق معرفته الكتاب والسنة النبوية الصحيحة والآثار السلفية، فهو الدين الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الردى والهلاك.

وهذا الدين المستقيم يجب أن يُقبَل عليه بالكلية فتنفذُ أوامرُه وتُجتنبُ نواهيه ويُشْهَر العمل به فإذا قام به أهله ودعو إليه، وحذروا مما يضاده صار عزيزًا شامخًا وكان سببًا في إخفاء كلِّ ملحد لبدعته واستتاره بها والملحدُ هو: «العادل عن الحق، المدخل فيه ما ليس فيه»[٢]، وإذا ضعف أهل الحق قويت شوكة أهل البدع.

فالذب عن الدين القيِّم ونصرته والصدع به يترتب عليه إضعاف أهل الباطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلوم أنه كلما ظهر نور النبوة كانت البدعة المخالفة أضعف»[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة»[٤].

ومن ثمرات الصدع بالحق والرد على أهل الأهواء والبدع: استتار المبتدعة ببدعهم خوفًا من أهل الحق أن تنالهم سهام نقدهم فيسقطون من أعين الناس، أو

(١) «ثلاث رسائل في المحبة» للشيخ عبد اللَّه آل جار اللَّه (ص: ١٣).
(٢) «تهذيب اللغة للأزهري» (٤/ ٢٤٣).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٨٩).
(٤) «التدمرية» (ص: ٧٧).

تكون الولاية لأهل السنة فيخشوا من تأديبهم لهم.

ومما يدل على استتار أهل البدع ببدعهم حال قوة أهل الحق: صنيع المنافقين في زمن النبي ﷺ فإنهم كانوا مستترين بنفاقهم، ولا يعلم بهم إلا رسول اللَّه ﷺ وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وقد روى زيد بن وهب، قال: «مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة، فقال له عمر: أمن القوم هو؟ قال: نعم، فقال له عمر: باللَّه منهم أنا؟ قال: لا، ولن أخبر به أحدًا بعدك»[(١)].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون، وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئًا لم يكن قبل ولا مستند له، ولهذا استتروا ببدعتهم ولم يكتم أهل السنة مذهبهم، فكلمتهم ظاهرة، ومذهبهم مشهور، والعاقبة لهم»[(٢)].

١٥- بِــهــذا أُرَجِّــيْ مِــنْ إلــهِــيَ عَــفْــوَهُ
أَرْجُــوْ بِــهَــذَا الــفَــوْزَ يــا رَبِّ مِــنْ سَــقَــرْ

١٦- أَجِــرْنِــيَ يــا رَحْــمــنُ إنَّــكَ سَــيِّــدِيْ
وجَــارُكَ فــيْ أَمْــنٍ وفــيْ أَعْــظَــمِ الــحَــبَــر

ختمَ الناظم منظومته بالتوسل إلى اللَّه عز وجل بصالح عمله وهو اعتقاده بما ورد في هذه العقيدة التي ذكرها في منظومته راجيًا من ربه العفو والتجاوز عن سيئاته، والنجاة من سقر، وهي من أسماء النار سميت بذلك، من: سَقَرَتْهُ الشمس: إِذا أَذابته ولوَّحته وأَحرقت جلدة وجهه[(٣)]، وراجيًا أن يجيره الرحمن فهو السيد المالك المولى الرب الذي يجير أولياءه من الشرور، ويدفع عنهم المكاره، ويحفظهم مما يضرهم، ومن لجأ إلى مولاه أجاره ربه وكان في أمنٍ مطلقٍ في الدنيا والآخرة، وفي حبور سرور وخير وفرح، وكلُّ هذا من ثمرات حفظ الرب

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥/ ١٠٧).
(٢) «تلبيس إبليس» (ص: ١٨).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٩/ ٧٧).

جل وعلا لأوليائه المؤمنين.

والتوسل إلى اللَّه تعالى بالأعمال الصالحة سببٌ من أسباب الفوز بكلِّ مطلوب ينال صاحبه السرور والحبور، وأعلاه الجنة، وسبب للنجاة من كلِّ مرهوب وأعلاه السلامة من النار.

وأسوته في ذلك أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقد توسلوا إلى اللَّه بأعظم أعمالهم الصالحة وهو إيمانهم باللَّه تعالى واتباعهم لنبيهم عليه الصلاة والسلام.

قال اللَّه ﷻ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا إخبار منهم بمنة اللَّه عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي من عليهم بالإيمان، سيمنُّ عليهم بالأمان التام»[(١)].

والحمد للَّه أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ١٦١).

خلاصة البحث

بعد ما منّ اللَّه به من إتمام هذا البحث أحمد اللَّه حمدًا كثيرًا على تيسيره دراسة وشرح منظومة الحكم بن معبد الخزاعي رحمه الله .

وبعد: فهذا ملخص لما ورد في الدراسة والشرح أبرزه فيما يلي :

١- المقصود من نظم الأبيات إعطاء النصيحة لمن يودهم .

٢- أظهر الناظم فخره بالانتساب للسنة وإشهارها .

٣- أفضل الصحابة رضي الله عنهم هم الخلفاء الراشدون، وترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة ومن عقيدة السلف أنهم يرون أحقية أبي بكر في الخلافة على غيره من الصحابة ولم ينازع في هذا أحد .

٤- الصحابة رضي الله عنهم على سبيل العموم والخلفاء الراشدين على سبيل الخصوص هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى وهم أفضل من مشى على وجه الأرض .

٥- دلت النصوص الشرعية على تقديم المهاجرين على الأنصار في الفضل لأنهم جمعوا بين الهجرة والنصرة وقد جاء تقديمهم في القرآن ولأن كل العشرة المشهود لهم بالجنة من المهاجرين .

٦- دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام على أن اللَّه تعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا وأنه يتكلم بحرف وصوت .

٧- وجوب اتباع منهج النبي الهاشمي صلى الله عليه وسلم فهو القدوة والأسوة الذي يُطاع ويُتَّبَع .

٨- إظهار البراءة من البدع يتضمن البراءة من أهلها .

٩- تبرأ الناظم من مقالات الجهمية والقدرية والرافضة والمرجئة .

١٠- الذب عن الدين القيِّم ونصرته والصدع به يترتب عليه إضعاف أهل الباطل.

١١- توسل الناظم إلى اللَّه ﷻ بصالح عمله وهو لزوم الدين القيم والبراءة من البدع والمحدثات.

❊ ❊ ❊



فهرس الموضوعات

* * *